

عَزِيزٌ فِي عَيْنِي الرَّبِّ مَوْتُ اتَّقِيَّاهُ

(Arabic – The death of the saints is precious.)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: مَوْتُ الاتَّقِيَّاءِ

ومن المزمور السادس عشرَ بعدَ المائةِ نقرأُ العددَ الخامسَ عشرَ:

"عَزِيزٌ فِي عَيْنِي الرَّبِّ مَوْتُ اتَّقِيَّاهُ."^١

يُفَكِّرُ علماءُ الطبِّ جَدِيًّا فِي الوُصُولِ إِلَى وَسَائِلِ أَفْضَلِ لِلوَقَايَةِ مِنَ الأَمْرَاضِ. فَهُمُ يَعْمَلُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا فِي بَحْوثِهِمْ وَيَقُومُونَ بِأَجْزَاءِ التَّجَارِبِ المُتَوَاصِلَةِ. وَقَدْ أَعْلَنَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ قَارَبُوا الوُصُولَ فِي أبحاثِهِمْ إِلَى إطالَةِ عُمُرِ الإنسانِ وإِعادَةِ شَبَابِهِ وَحِمَايَتِهِ حَتَّى مِنَ المَوْتِ. وَفِي تَصَوُّرِهِمْ أَنَّهُ بِالتَّقَدُّمِ العِلْمِيِّ سَيَأْتِي اليَوْمُ الَّذِي فِيهِ لَنْ يَرَى أَحَدٌ المَوْتَ إِلَّا عَنَ طَرِيقِ الحَوَادِثِ المُفَاجِئَةِ أَوْ الأَخْطَاءِ الذَّائِئَةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الإنسانُ وَتُودِي بِحَيَاتِهِ. لَقَدْ غَابَ عَنَ ذَهْنِ هؤُلاءِ أَنَّ الَّذِي يَفَكِّرُونَ فِيهِ هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الوَهْمِ وَالخِيَالِ. فَكَاتَبْتُ الرَّسَالَةَ إِلَى العِبْرَانِيِّينَ يُسَجِّلُ بِالوَحْيِ الإِلَهِيِّ ذَلِكَ النَّصَّ بِالأَصْحَاحِ التَّاسِعِ مِنَ الرَّسَالَةِ وَهُوَ: "أَنَّهُ وَضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ."^٢

قَالَ لِي أَحَدُ الأَصْدِقَاءِ: لَوْ قَدَّرَ لِإنْسَانٍ أَنْ يَعِيشَ عَلَى الأَرْضِ إِلَى الأَبَدِ. دُونَ تَعَرُّضِ لِمَوْتٍ كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُ العُلَمَاءِ. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَمَا قَلْنَا يُخَالِفُ المَكْتُوبَ. سَتَكُونُ حَيَاتُهُ عَلَى الأَرْضِ عَذَابًا أَبَدِيًّا. وَذَلِكَ العَذَابُ سَيَتَزَايَدُ وَيَتَزَايَدُ تَلْقَائِيًّا بِمُرُورِ الأَعْوَامِ والقُرُونِ والأَحْيَالِ عَلَيْهِ. وَلَيْسَ مِنْ رَجَاءٍ فِي الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ السَّعِيدَةِ. فَمَا أَشَقَى الإنسانِ بِحَيَاةٍ عَلَى الأَرْضِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا رَجَاءٍ فِي حَيَاةٍ أَفْضَلِ. أَوْ مُسْتَقْبَلِ سَعِيدٍ لِيَتَطَّلَعَ إِلَيْهِ. فَالشَّرُّ والأَشْرَارُ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى الأَرْضِ. وَمَيُولُ الإنسانُ الشَّرِيرَةَ لِارتِكَابِ الجَرَائِمِ وَمُمَارَسَةِ المُؤَبَقَاتِ نَهْدًا هؤُلاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ العَيْشَ الصَّالِحَ والعَمَلَ الطَّيِّبَ عَلَى الدَّوَامِ. وَلَقَدْ كَتَبْتُ بُولُسَ الرَّسُولُ فِي رِسالَتِهِ الأُولَى إِلَى مُؤمِنِي كورنثوس الأَصْحَاحِ الخَامِسِ عَشَرَ يَقُولُ: "إِنْ كَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ فَقَطِ رَجَاءٌ فِي المَسِيحِ فَإِنَّا أَشَقَى جَمِيعِ النَّاسِ". لَيْسَ حَسَنًا أَنْ نَتَغافلَ عَنِ الحَقِّ الكِتَابِيِّ أَنَّهُ: "وَضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ."^٣

إِنَّ أفسَى مُعَانَاةٍ لِلنَّفْسِ البَشَرِيَّةِ هِيَ الحَرَمَانُ مِنْ عَزِيزٍ لَدَيْهَا إِذَا فارقَهَا مُنْتَقِلًا إِلَى العَالَمِ الأَخْر. لِذَلِكَ يَتَسَاءَلُ بَعْضُهُمْ فِي حَيْرَةٍ: كَيْفَ يَسْمَحُ اللهُ بِانْتِقَالِ عَائِلٍ لِأُسْرَةٍ فِيهَا أَطْفَالٌ وَمِنْهُمُ الرِّضِيُّعُ؟ أَوْ بِفقدِ الأُمِّ الَّتِي هِيَ مَصْدَرُ الحَنَانِ الخَالِصِ لِصِبْغَارِهَا؟ أَوْ بِفقدِ الأَبْنِ الشَّابِّ وَهُوَ فِي مُقْتَبَلِ العُمُرِ؟ أَوْ بِرَحِيلِ الأَبْنَةِ البَايَعَةِ وَهِيَ فِي شَبَابِهَا الغَضُّ؟ أَوْ رَحِيلِ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ وَفِي؟ أَوْ انْتِقَالِ شَخْصِيَّةٍ نَافِعَةٍ تَعْمَلُ مُضْحِيَّةً مِنْ أَجْلِ الأَخْرِينِ؟ يُحِيرُنَا أَنَّ اللهُ يَسْمَحُ بِذَلِكَ. لِأَنَّنا أَحْيَانًا نَنْسَى أَنَّ اللهَ القَدِيرُ هُوَ الأَبُ لِكُلِّ يَتِيمٍ وَالزَّوْجُ لِكُلِّ أَرْمَلَةٍ. وَالعَائِلُ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ عَائِلٌ. يُشْبَعُ الجَائِعُ وَيُرَوَى الظَّمآنُ وَيُقِيمُ العَاثِرُ. هُوَ خَالِقُ الكَلِّ وَلَيْسَ سِوَاهُ قَادِرًا كَي يُعِينِ الكَلَّ.^٤

إِنَّ المُؤمِنَ مُورَعًا بَيْنَ رَغْبَتَيْنِ: شَهْوَةَ قَلْبِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ المَسِيحِ ذَاكَ أَفْضَلُ جَدًّا. وَأَنْ يَبْقَى فِي الجَسَدِ مَعَ أَحْبَائِهِ لِتَشْجِيعِهِمْ لِذَوَامِ فَرِحِهِمْ مَعَهُ فِي الإِيمَانِ. لَقَدْ كَتَبْتُ بُولُسَ الرَّسُولُ فِي رِسالَتِهِ إِلَى مُؤمِنِي فيلبِّي الأَصْحَاحِ الأَوَّلِ يَقُولُ: "فإبِّي مَحْصُورٌ مِنَ الاثْنَيْنِ. لِي اشْتِهَاءٌ أَنْ انْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ المَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جَدًّا. وَلَكِنْ أَنْ أَبْقَى فِي الجَسَدِ الزَّمَّ مِنْ أَجْلِكُمْ. فَإِذَا أَنَا واثِقٌ بِهَذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَمُكْتُ وَأَبْقَى مَعَ جَمِيعِكُمْ. لِأَجْلِ تَقْدُّمِكُمْ وَفَرِحِكُمْ فِي الإِيمَانِ". وَلِكَيْتَهُ لَا يَدُّ أَنْ يَأْتِيَ اليَوْمُ. الَّذِي فِيهِ نَرْتَحِلُ كَمَا ارْتَحَلَ بُولُسُ. إِلَى دِيَارِ المَجْدِ لِنَسْتَمْتِعَ بِالأَفْضَلِ جَدًّا.^٥

^١ سفر المزمير ١١٦: ١٥ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٧

^٣ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس ١٥: ١٩

^٤ سفر المزمير ٦٨: ٥ & ٢٣ & ١: ١٠٣ & ١: ٥ - ١٠٤: ١٤

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني فيلبِّي ١: ٢٣ - ٢٦

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَسْتَمِعَ اتَّقِيَاؤَهُ مَعَهُ فِي الْمَجْدِ. ولكن في نفس الوقت يُعَلِنُ الْوَحْيَ الْمُقَدَّسُ مَا جَاءَ بِالْمَزْمُورِ السَّادِسِ عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْعَدَدِ الْخَامِسِ عَشَرَ: "عَزِيزٌ فِي عَيْنِي الرَّبُّ مَوْتُ اتَّقِيَاؤِهِ". فبماذا نَفَسَرُ ذَلِكَ الْأَمْرَ؟. أَوْلَيْسَ السَّمَاءُ لِاتَّقِيَاؤِهِ أَفْضَلُ جَدًّا؟. لِمَاذَا عَزِيزٌ فِي عَيْنِيهِ مَوْتُهُمْ؟. إِنْ أَمَعْنَا الْفِكْرَ وَالتَّأَمَّلَ سَوْفَ نَسْتَخْلِصُ سَبَابًا جَوْهَرِيَّةً بِهَا نَفَسَرُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ وَنُوجِزُهَا فِي ثَلَاثَةِ:

أولاً: اتَّقِيَاؤُهُ عَلَى الْأَرْضِ "هُم جَوَاهِرُهُ الثَّمِينَةُ فِيهَا" .. وَكَيْفَ تَقَدَّرُ الْجَوَاهِرُ؟. الإِجَابَةُ: تَقَدَّرُ بِمَا دُفِعَ فِيهَا مِنْ ثَمَنٍ. لَا نُنْسَى أَنَّ الرَّبَّ دَفَعَ ثَمَنًا غَالِيًا لِيَقْتَنِي هَذِهِ الْجَوَاهِرَ الثَّمِينَةَ فِي عَيْنِيهِ. دَفَعَ الرَّبُّ ثَمَنًا غَالِيًا لِيَجْعَلَ مِنَّا أَوْلَادًا لِلآبِ السَّمَاوِيِّ. لِذَلِكَ يَنْصَحُ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كورنثوسَ الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ بِقَوْلِهِ: "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنْكُمْ لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ؟. لِأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجَّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ". لَقَدْ كَانَ تَدْبِيرُ الْآبِ السَّمَاوِيِّ مِنْذُ الْأَزَلِ أَنْ يُقَدِّمَ الْإِبْنُ الْوَحِيدَ فِدْيَةً مِنْ أَجْلِ خَلَاصِ الْعَالَمِ. وَكَانَ الدَّمُ الزَكِيُّ الطَّاهِرُ الَّذِي سَفَكَ عَلَى الصَّلِيبِ هُوَ الثَّمَنُ الَّذِي دُفِعَ مِنْ أَجْلِ النُّفُوسِ الْعَزِيزَةِ عَلَى قَلْبِهِ "لِكَيْ لَا تَهْلِكَ بَلْ تَكُونَ لَهَا الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". وَكَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي كُولُوسِي الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ: "لِأَنَّهُ فِيهِ سِرٌّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمَلْءِ. وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ عَامِلًا الصَّلْحَ بِدَمِّ صَلِيبِهِ". عَزِيزٌ فِي عَيْنِي الرَّبُّ مَوْتُ اتَّقِيَاؤِهِ لِأَنَّهُمْ جَوَاهِرُهُ الَّذِينَ اشْتَرَاهُمْ بِدَمِّ الْإِبْنِ الْوَحِيدِ الْغَالِيِ.^١

ثانياً: لِأَنَّ اتَّقِيَاؤَهُ "هُم حَظُّ الدِّفَاعِ الْأَوَّلِ فِي مَعْرَكَةِ الْخَيْرِ مَعَ الشَّرِّ" .. هُمْ حِمَايَةٌ وَوَقَايَةٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْخَرَابِ وَالدَّمَارِ. إِيَّاهُمْ حَظُّ الدِّفَاعِ الْأَوَّلِ فِي الْمَعْرَكَةِ الْمُحْتَدِمَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ قُوَى الْخَيْرِ الْمُثَبِّتَةِ فِي اتَّقِيَاؤِهِ الَّذِينَ عَلَى الْأَرْضِ. وَقُوَى الشَّرِّ الْمُثَبِّتَةِ فِي الْأَشْرَارِ أَتْبَاعِ مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ. وَلَقَدْ سَجَلُ سَفَرُ التَّكْوِينِ بِالْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ عَشَرَ قِصَّةً تَشْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ أَمَامَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ سُدُومَ قَاتِلًا: "عَسَى أَنْ يَكُونَ حَمْسُونَ بَارًا فِي الْمَدِينَةِ. أَفْتَهْلِكُ الْمَكَانَ وَلَا تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًا الَّذِينَ فِيهِ؟. فَقَالَ الرَّبُّ: إِنْ وَجَدْتُ فِي سُدُومَ خَمْسِينَ بَارًا فِي الْمَدِينَةِ فَإِنِّي اصْفَحُ عَنْ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ. فَاجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أَكَلِمِ الْمَوْلَى وَأَنَا تَرَابٌ وَرَمَادٌ. رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًا خَمْسَةَ. أَتَهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟. فَقَالَ: لَا أَهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ. فَعَادَ يَكْلِمُهُ أَيْضًا وَقَالَ: عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ. فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الْأَرْبَعِينَ. فَقَالَ: عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ ثَلَاثُونَ. فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلَاثِينَ. فَقَالَ: عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشْرُونَ. فَقَالَ: لَا أَهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشْرِينَ. فَقَالَ: عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشْرَةَ. فَقَالَ: لَا أَهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشْرَةِ". لَوْ كَانَ فِي سُدُومَ عَشْرَةَ اتَّقِيَاءَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا كِبْرِيئًا وَنَارًا. إِنْ وَجُدَ اتَّقِيَاءٌ فِي الْعَالَمِ حِمَايَةٌ وَوَقَايَةٌ مِنَ الدَّمَارِ وَالهَلَاكِ. بِنَشْفَعِهِمْ مِنْ أَجْلِ الْخَطَاةِ.^٢

ثالثاً: لِأَجْلِ اتَّقِيَاؤِهِ "أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبِرْكَةِ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ" .. لَقَدْ بَاعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ أَخَاهُمْ لِتَجَارَ نَزَلُوا بِهِ إِلَى مِصْرَ. وَاشْتَرَاهُ فَوَطِيفَارُ الَّذِي وَكَلَهُ عَلَى بَيْتِهِ وَعَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ. وَسَفَرُ التَّكْوِينِ يُسَجِّلُ شَهَادَةَ الْبِرْكَةِ بِسَبَبِ يُوسُفَ بِقَوْلِهِ: "وَكَانَ مِنْ حِينِ وَكَلَّ فَوَطِيفَارُ يُوسُفَ عَلَى بَيْتِهِ وَعَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ أَنَّ الرَّبَّ بَارَكَ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ بِسَبَبِ يُوسُفَ وَكَانَتْ بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ". إِنْ الرَّبُّ يُبَارِكُ اتَّقِيَاءَهُ وَيَجْعَلُهُمْ بَرَكَةً لِيَتَمَجَّدَ اسْمُهُ بِهِمْ. وَيُحَدِّثُنَا كَاتِبُ سَفَرِ أَعْمَالِ الرَّسْلِ أَنَّ رِيحًا زَوْبَعِيَّةً هَاجَتْ عَلَى سَفِينَةٍ كَانَتْ تَحْمِلُ بُولُسَ مَعَ مُسَافِرِينَ آخَرِينَ وَكَادَتْ السَّفِينَةَ تَعْرُقُ. فَوَقَفَ بُولُسُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: "لِأَنَّهُ وَقَفَ بِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ مَلَكَ الْإِلَهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَالَّذِي أَعْبُدُهُ. قَائِلًا: لَا تَخَفْ يَا بُولُسُ. يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ قَيْصَرَ. وَهُوَذَا قَدْ وَهَبَكَ اللَّهُ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ. لِذَلِكَ سَرُّوا أَيُّهَا الرَّجَالُ. لِأَنِّي أُوْمِنُ بِاللَّهِ أَنَّهُ يَكُونُ هَذَا كَمَا قِيلَ لِي". كَيْفَ نَتَخَلَّى الْعَالَمَ بِلا اتَّقِيَاءِ؟. أَوْلَيْسَ الْجَحِيمُ بَعِينُهُ؟. "عَزِيزٌ فِي عَيْنِي الرَّبُّ مَوْتُ اتَّقِيَاؤِهِ" لِأَنَّ حَيَاتَهُمْ بَرَكَةٌ وَنُورٌ لِلْعَالَمِ وَمِلْحٌ لِلْأَرْضِ.^٣

لِيَتَكَّ أَحَى تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ حُبِّكَ الْعَجِيبِ الَّذِي شَمَلَ الْخَطَاةَ لِخَلَاصِهِمْ وَنَجَاتِهِمْ مِنَ الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ. وَشَمَلَ اتَّقِيَاءَكَ الَّذِينَ بَارَكْتَهُمْ وَاسْتخدمْتَهُمْ فَكَانُوا نُورًا لِلْعَالَمِ وَمِلْحًا لِلْأَرْضِ وَمَجَّدُوا اسْمَكَ بِحَيَاتِهِمْ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ. مُمْسِكًا بِوَعْدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أحى القارئ العزيز .. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٩-٢٠ ، ورسالته إلى مؤمنى كولوسى ١: ١٩-٢٠ ، إنجيل يوحنا ٣: ١٦

^٢ سفر التكوين ١٨: ٢٣-٣٣

^٣ سفر التكوين ٣٩: ٥ ، سفر أعمال الرسل ٢٧: ٢٣-٢٥ ، إنجيل متى ١٣: ١٦